

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
٢٨
مسلمات خالدات
ريحانة
"بنت زيد"
محمد علي القطب
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مسلماتٌ خالدات

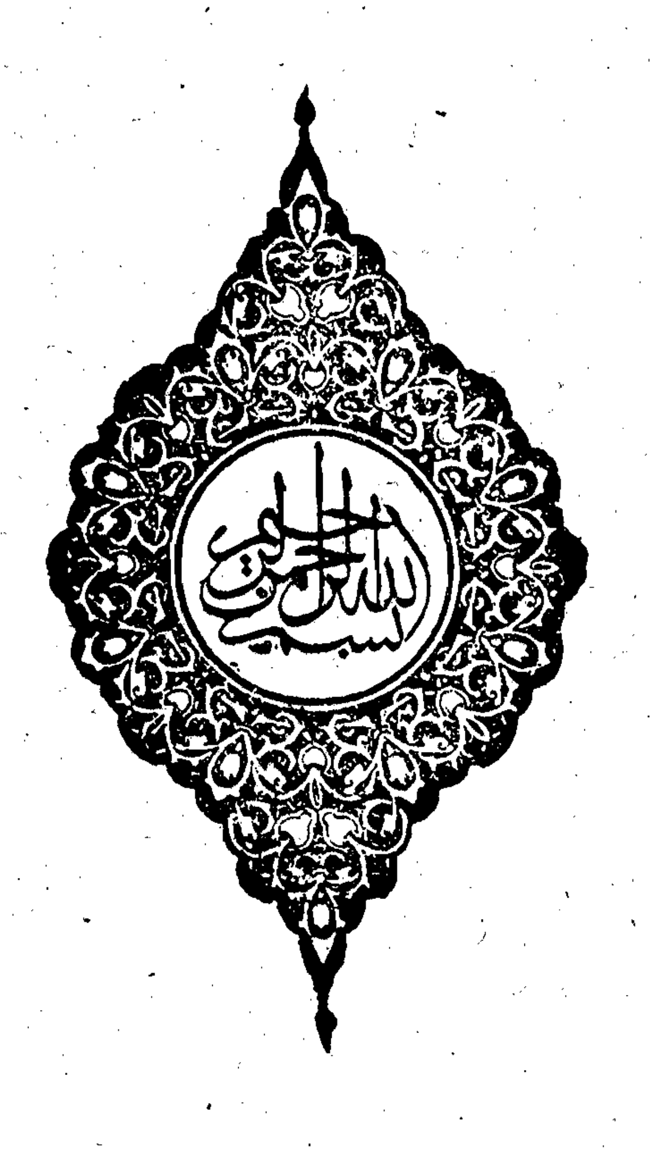
ريحانة

"بنت زيد"
(رضي الله عنها)

٢٨

محمد علي القطب

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللهُ تعالى :

ـ ﴿ يا نساءَ النبيِّ لَسْتُنَّ كأَحدٍ من النساءِ إن اتقيْتُنَّ فلا تخضعْن بالْقوْلِ فيَطْمَعَ الـذي في قَلْبِـهِ مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مَعْروفاً ● وقَرْن في بيوتِـكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليَّةِ الأولى وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتينَ الزكاةَ وأطعْنَ اللّهَ ورسولهُ إنَّما يريدُ اللّهُ ليُذْهِـبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْـلَ البيْتِ ويُطَهِّـرَكُم تطهـيراً ● واذكُرْن ما يُتلى في بيوتكُنّ من آياتِ اللّه والحكمة إنّ اللّه كان لطيفاً خبيراً ﴾

صَدَق الله العظيم

سورة الأحزاب (٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤).

توطئة

يضطرُّنا الحديثُ عن « ريحانة بنت زيْد » إلى مخالفة النّهْج الذي تعوّدناه في الترجمة لـ « المسلمات الخالدات » ، لأن ظروف إسلامها واقتران النبي ﷺ بها ، فيه مغايرة للمجرى العام والنّسَق الذي ألفْناهُ من قبل .

فمن الضروري والبدهيّ أن نَعْرض لظروفٍ عامةٍ وخاصة تتعلّق بالموضوع ؛ فعذراً من القارىء الكريم إن وَجَدَ اختلافاً ،

والله المستعان .

الاسلام واليهود

كان العنصر اليهوديّ في يَثْرب هو المسيْطر المتسلّط وهُوَ صاحِبُ النفوذ ، يعيش مستفيداً من خلاف قبيلتي « الأوْس » و« الخزرج » ، وهُمْ أكثر عدداً وأعظم نفيراً ، إلا أنّ خلاف القبيلتين كان سَبَب ضعفهما الدائم ومجال سيطرة اليهود .

كما كان العنصر اليهوديّ يَضُمّ ثلاث طوائف ، أو عشائر ، هُم : بنو قَيْنُقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريْظة ، لكُلٍّ منهم حيُّهُ ومكان إقامَتِهِ في الضّواحي ، تحيطُ بهم الأسوار والجدران ، كأنها الحصُونُ والقلاع ، ويلتفّونَ حَوْل « يَثْرب » ويحدقونَ بها .

وكانوا إلى جانب سعيهم بالفرقة والاختلاف بين الأوس والخزرج أصحاب مالٍ وغنى ، يوظفون ذلك في إذلال الأعراب وإرهاقهم والاستبدادِ بهم . . .

وأيْضاً . . . ، كان أهْلُ « يَثْرِب » ينظرون الى اليهود من الناحية العقائدية نظرة قداسةٍ وإجلالٍ واحترام ، لأنهم أصحابُ كتابٍ سماوِيٍّ مُنْزل ، ويتابعونَ أنبياء الله ، فليسوا أُميِّين ولا دهماء .

ومع ظهور الإسلام ، وانتظام الأوْس والخزرج في سِلْكِهِ ، ومبايعتهم لرسُولِ الله ﷺ بالنُّصرْة والمَنَعَةْ ، وتوحّد كلمتهم وصفّهم ؛ فَقَدَ اليهودُ أوّل نفوذٍ لهُم . . .

وبَعْدَ الهجرة ، وتآخي المسلمين ، وقيام المجتمع الجديد ، المتكامل المتضامن ، فقد اليهود سلطانهم الثاني ، ونفوذهم الماديّ والماليّ . . .

وحَيْث أن مفاخرتَهُم واستعلاءهُمْ على العربِ بأنهم أَهْلُ وثنيَّة ، وهُمْ أَهْلُ كتاب سماوي ، قد زالت واندثرت ، فقد ضاعَ على اليهودِ كُلّ قُدْرةٍ على السيطرة والنفوذ والاستبداد .

ولقد أراد النبي (عليه السلام) أَنْ يتعايش المسلمونَ واليهود في سلامٍ وأمْنٍ واطمئنان ، فعقد معهم العقود ، وأمضى بينَهُ وبينهم العهُودَ والمواثيق.

لكن الطّبْعَ اليهودي لا يَلْبَثُ أَنْ يَظْهَرَ ويطفو على السَّطْح ، من غَدْرٍ ونفاقٍ وحِقْد .

ولقد لَقِيَ « بنو قينقاع » و« بنو النضير » جزاءهم وفاقاً ، وتَمّ إجلاؤهم عن المدينة ، والتخلُّص من آثامهم وبقي « بنو قُرَيْظة » . . . ، حتى حان حيْنهُم.

نسبها

ولقـد سعـى ساعيهـم إلى « مـكّة » يُؤلّب « قريْشـاً » ويحثّهـا على قتـالِ « محمـد » ﷺ والمسلمين ، ويَعِدُهم بمناصرَتِهِم وتأييدِهم .

وكانَتْ « ريحانةُ بنت زيْد بن عمرو بن قُنافـة (ويقال خُنافـة) من « بنـي النضـير » ، لم تَجْـلُ مَعَهُم عن المدينة ، ولم تغادرْها ، وسَبَبُ ذلك أَنهّا كانَتْ متزوّجةً من أَحَدِ رجال « بني قُرَيْظة » الذين استمروا في المدينة مقيمين ؛ وكان إسم زوجها : « الحَكم » .

وكانَتْ كما هُوَ مشهورٌ عنها ذات حُسْنٍ وجمالٍ ووضاءة ، مُحِبَّةً لزوجها وفيَّةً لهُ ، تُحْسِنُ معاملته ، وتبالغ في طاعتِهِ والإخلاصِ لهُ .

وسارت بها عجلةُ الزّمنِ ، ودار بها دولابُ الحياة ، وهي لا تدري ما يخبّئُهُ لها الْقَدَرُ من الشرفِ العظيم ، والمكانة الرفيعة السامية.

وجاءَت قريْش والأحزاب الى المدينة تريدُ أن تطفيء نُورَ الله ، ولكنهم فوجئوا بالخندق الذي أشار بحفْرِه « سلمانُ الفارسيُّ » ـ رضي الله عَنْه ـ والمسلمين وراءه ، متأهبين ومستعدين للقتال .

ولقد عَرَفَ رسُولُ الله ﷺ بخيانة « بني قريظة » ونَقْضِهم العهْد ، وذُعِرَ أكثر المسلمين من وقوعهم بَينْ عَدُوين ، الأحزابُ من أمامهم واليهودُ من ورائهم ، لكن رحمة الله تعالى تجلّتْ على عباده في ذلك اليوم المشهود ، واستطاع فَرْدٌ من المسلمين بتوجيهٍ من رسولِ الله ﷺ ودعائِهِ لهُ أن يفكّ التحالُفَ بَين الأعداء ، ويَصرِفَ عن المؤمنين كَيْد الكافرين والمشركين معاً.

وعادَتْ قريش والأحزاب بخُفَّيْ حُنَينْ لم ينالوا خَيرْاً ، وعاد المسلمونَ إلى المدينة ، وقد أذْهَبَ الله عنهم اليأس والخوْف والشَدَّة .

لكن . . . . هل يمُرّ غَدْر « بني قريظة » دونَ تأديب أو عقابٍ صارم ، جزاء ما أسْلَفَتْ أَيْديهم من النفاق والبغضاء وسوءِ العهْد؟

كلا . . . أبداً . . . ،

الاسيرة

فبيْنما كان رسُـول الله ﷺ في دارِه يَغْتَسِـل ليزيلَ عَنْه وَعْثاءَ وغبار الأيام السالفة ، أيام حصار الخندق ، قُرِعَ بابُ دارِهِ ، فأسْرَعَتْ « عائشة » ـ رضي الله عنها ـ لترى مَنْ بالباب ، فاذا فارس يعتلي صَهْوَةَ جواده ، مُتَدَرّعاً ، وكأنه ذاهِبٌ إلى قتال ، يَطْلُبُ مقابلـة رسـول الله ﷺ على عَجَلٍ ،

فخرج إليْه « عليه السلام » ، وقد غَسَلَ جانباً من جَسَدِهِ الشريف ، فإذا جبريل الأمين ، يطلب إلى الرسول الكريم ، بأمْرٍ من الله تعالى ، مبادَرَة « بني قريظة » وتأديبهم على الفوْر . .

فأرْســل (عليه الســلام) رسُــولاً يؤذّن في المسلمين :

ـ مَنْ كان يُؤْمن بالله ورسولِهِ واليوْم الآخر فلا يصلِّيَنَّ العصر إلا في بني قريظة .

كما طلـب إلى « عليٍّ » كرَّم الله وَجْهَــهُ ، أن يتقـدَّم الى حُصــونِ العــدو على رأسِ فرســانِ المسلمين ، كطليعةٍ لهُ ولإخوانِهِ وأصحابه .

وضُرِبَ الحصارُ على القـوْم الكافـرين ، أيّامـاً وليالي ، واستمــروا هُمْ في تشــاوُرٍ ومراوغــةٍ ومماطلة ، واستحضروا « أبا لُبابة » ـ رضي الله عنه ـ ليروا رأيَهُ ، ثُمّ فوجئوا بفرسانِ المسلمين وقـد توسّطــوا ساحتهــم ، ودخلــوا من ثغــرةٍ إلى حصونهم ، عندئذٍ طلبوا الهُدْنـة ووقْفَ القتـال ، وارتضـوا « سعـد بن معـاذٍ » ـ رضي الله عنــه ـ حكماً .

فسُبِيَت الذرِّيّة ، وقُتِل المقاتلة والأسرى الذين بلغوا سبعمائةٍ ، وأُجْلِيَ الباقونَ عن الديار ؛ وتنظَّفَتِ المدينةُ المنورة إلى الأَبَدِ من العنصر اليَهُودي .

وكانت « ريحانة » قد وقعت أسيرة في السَّبي .

فلمّا عُرِضَتْ عليْه اصطفاها لنَفْسِهِ ، وكان لهُ من كُلّ سَبْيٍ صفيّ يختاره ، فاختارها رضي الله عنها ، ثُمّ أرسل بها إلى بيْتِ « أم المنذر » ـ سلمى بنت قيس ـ رضي الله عنها .

وقال لأم المنذر : أخبريني إن حاضَتْ حيضَةً واحدة .

اللقاء

ومرّتْ أيّام على مقـام « ريحانـة » في بيْت « أم المنذر » حتىَ حاضَتْ ، فجاءت « أم المنذر » إلى رسولِ الله ﷺ تخبرُه ؛ فعادَ معها إلى دارها .

تقولُ « ريحانة » :

ـ دَخلَ عليَّ رسُولُ الله ﷺ ، فتنحَّيْتُ مِنْهُ حياءً ، فدعاني فأجلسني بين يَدَيْه فقال :

ـ إن اخْتَرْتِ الله ورسُولَهُ اختارَكِ رسُولُ الله لِنَفْسه .

فَقُلْتُ :

ـ إنّي أختارُ الله ورسُولَهُ .

ثم قال :

ـ إنْ احبَبْتِ أن أعتقك وأتزوّجَك فعلْتُ ، وإن أَحْبَبْتِ أن تكوني في ملكي فعلتُ أيْضاً . .

فقالت :

ـ يا رسـول الله أكونُ في مِلْـكِكَ أَخَفُّ عليَّ وعَلَيْك .

هذه رواية ، وهناك روايةٌ أخْرى تقـولُ بأنّـه (عليه السلام) أعتقها وتزوّجها وأصْدَقَها اِثنتـيْ عشرةَ أوقيه ونشّاً كما كان يُصْدِق نساءه .

وقَدْ أَعْرَس بها في بَيْت « أمّ المنْذِر » ، لأنّه لم يكُن لها بيْتٌ (حُجْرة) كما كان لبقيّةِ نسائه (عليْه السلام) في ذلك الحين .

و« ريحانَـةُ » ـ رضي الله عَنْهـا ـ إسـمٌ على مُسمّى ،

زَهْرَةٌ نَوارة ناصعة البياض ، كاللؤلـؤِ المنضـودِ

علىٰ غُصْنٍ أخْضَر يانـع ، طيبـة المذاق ، زكيّة الرائحة. . .

جميلـة القسمات ، وضّـاءَة الوجـه ، ناصعـة البشرة ، فتيّةً شابّة.

وكان رسـول الله ﷺ ـ كما تقـول رواياتُ التاريخ ، مُعْجباً بها ، لا يردّ لها طلباً ، ولا تسألُه شيئاً إلا أجابها إليْه. . .

فقيل لها بهذا الشأن :

ـ لو كُنْت سألتِ رسول الله ﷺ في « بني قريْظة » لأعْتَقَهُم ،

فقالَتْ :

ـ لم يَخْلُ بي حتى فَرَّق السّبْي .

وكان من شِدّةِ حُبَه ﷺ لـ« ريحانة » أنّه كان يستكثِرُ منها ، طلباً لِلْوَلَدِ والذريّة ، وكانت أكثَرَ نسائِهِ اختلاءً بِهِ (عليْه السلام)

طلاقها

لكن « ريحانة » ـ رضي الله عنها ـ كانَت امرأة شديدة الغيرة ، والغيرةُ في النساءِ طبعٌ غريزي ، ولكنها كانت عند « ريحانة » تفوق الحد ، وتتجاوز المعقول .

ولقد حَدَث أن أظْهَرَتْ ذلك يَوْماً ، وفي لهجةٍ قاسية ، وعباراتٍ جافّة ،

وقد يكون حُبّ رسول الله ﷺ الزائد لها هو الذي جعلها تخرُجُ عن طورها واتزانها ، ويزيّن لها غرور المرأةِ أنهّا تلْعَبُ بالرجال وأقدارهم ، فما كان من رسُول الله ﷺ ، إلا أن طلّقها تطليقةً . . .

توبتها

وغادر الدار ، دار « أم المنذر » . . . ، فندمت « ريحانَةُ » على ما بَدَر منها ، وساءَها أن أَفْرطت في غَيرْتها ، فبكتْ بكاءً مُرّاً ، وشَقّ عليها فراقِ رسُول الله ﷺ لها.

وخرَجَتْ « أم المنذر » تنبىء رسول الله ﷺ بما حَدَث لـ « ريحانة » بَعْد خروجِهِ ، وندمها الشديد على ما فَعَلَتْ ، واسْترحمتْهُ في العطف على « ريحانة » . . . كي يراجِعها.

فعادَ صاحِبُ القلْب الكبير ، (صلوات الله وسلامه عليْه) الى حَيْث هي ، فوَجِدَها على أسوإِ

حالٍ من الحـزْنِ واليأس ، فراجعهـا ، وأَحْسَـنَ إليْهاً . . . ، فَفَرِحَـتْ ، وكادَتْ تنـزل على يدَيْه تقبلهما وتغمرهما بالدموع .

ومنذ ذلك اليَوْم أَصْبَحَتْ « ريحانة » ـ رضي الله عنها ـ أَطْوَع له من ظِلِّهِ ـ عليه السلام ـ لا تغضِبُهُ ولا تُحْزِنُه ، ولا تؤذيه في قوْلٍ أَوْ فِعْل .

وتؤدي لهُ واجب الزوجيّة على أحب ما يشتهي ويريد ويتمنى ، واستمـرت كذلك لا تتبـدَّلُ ولا تتغيّر ،

فـكان يقسـم لهـا كما كان يقسـم لنسائـه الأخـريات ، من كُلِّ فيْءٍ وعطـاء ، لا ينقصهـا حقها ، ولا يضيّع عليها نصيبها .

ولقـد كان زواجـه (عليه السـلام) من « ريحانة » في العام السادس من الهجرة ، فمكَثَتْ

عِنْدَهُ طوال أَرْبَعِ سنوات ، كانت حافلةً بالأحداثِ الجسام ، منها « فتح خيبر » و« صُلْح الحديبية » و« عمرةُ القضاء » ثُمَّ « فتح مكة » وغزوتا « حُنَيْنٍ » و« الطائف » .

مرضها

فلما كان يَوْم حجّةِ الوداع التي أنزل الله تعالى فيها قوله:

(اليْوم أكْملْتُ لكم دينكم وأتممْتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً).

وخطب فيها (عليه السلام) خطبته الشهيرة التي تضمنت تقريراتٍ ومبادىء ، كثيرةٍ وعظيمة،

عاد (عليه السلام) من « مكة » فإذا « ريحانة » مريضة تعاني من الآلام والأسقام والأوجاع.

ولقد كان شاقاً ومؤلماً على رسُول الله ﷺ أنْ

يرى « رَيحْانةٍ » تَذوي وتذبل كالزهرةِ اليانعة التي كانت تملأ جَوّ الحياةِ أريجاً وبهاءً ، ثم تَصفَرّ وتتِساقط وريقاتها واحدة بعد الأخرى إيذاناً بالفناء.

موتها

ولم تمض سوى أيّامَ قلائل حتى فارقت « ريحانة » الدنيا وهي في عِزّ الصبا ورونق الحياة ، فبكاها « عليه السلام » وحَزن لفراقها . وقام بعض النسْوة الذين يثق بهم (عليه السلام) أمثال « أمَ المنذر بنت قَيْس » على تدبير شؤون دفْنِ « ريحانة » .

فغُسّلَتْ وكفّنَتْ وطُيّبت ، ثُم حُمِلَتْ الى « البقيع » ، ومشى « عليه السلام » في جنازتها يحف به كبار إخوانه وأصحابه ، حتى انتهوا إلى المدافن وهناك ووريت « ريحانة » الثرى ، ودعا لها رسول الله ﷺ أدعيةً مباركة ، وسأل الله

تعالى لها المغفرة وحُسْنَ الثواب ، ثُمّ رَجَعَ إلى بَيْتِهِ ، وقد فارق بَضْعَةً منه كانَتْ من أعَزّ نسائه عنده ، ومن أحبهنّ إليه ، وأكرمهن عنده .

لماذا الزواج من « ريحانة » . . . ؟

هذا سؤال يطرحُ نفسه ، ويِقتضي منا الاجابة الصريحة الواضحـة ؛ لأن أَكْثَرَ روايات التـاريخ تركّز على جمال « ريحانة » ، فكأنّه (عليه السلام) افتتن بها وأحبها لذلك .

وبعض الروايات التاريخية يذكُرُ أن « ريحانة » كانَتْ زوْجَـةً لرجُلٍ من « بنـي قريظـة » يدعـى « الحكم » ، من أشراف القـوْم وسادتهـم ، وكان « الحكم » وفياً محُباً مخلصاً ، فلما مات يوم معركة « بني قريظة » حلفَـتْ « ريحانـة » أن لا تتـزوّج

بعده ، وتبقىٰ على ذكرى الزوْج العزيز ، ولو طال بها العمر ، وامتدّ بها الأجَل .

ولقد كان رسول الله ﷺ عالماً بمكانة « ريحانة » عند قومها « بني النضير » وعالماً بمقام زوجها « الحكم » ، وتحت شعار قاعِدَة (إنما يُكْرِم الكريمُ الكريمَ) إصطفاها (عليه السلام) لِنَفْسِهِ ، ومَنْ أولَى من « محمد بن عبد الله » بالحفاظ على كرامة الناس؟؟!!

وأيْضاً . . .

فإن زواجَهُ (عليه السلام) من « سَوْدَة بنت زمعة » ـ رضي الله عنها ـ وكانت كبيرة السّن ، ليس فيها أدنى مِسْحةٍ من جمال ، يردُّ افتراء المشتبهين والغامزين .

وأيْضاً . . .

عندمـا شَعَـرَ (عليه السـلام) من « ريحانـة » بالغيرةِ الشديدة ، وقد أظْهَرَت ذلك في فلْتَـة من فلتاتِ اللسان طَلَّقها . . .

ثم راجعها ، ولو كان غيرُهُ من الناس لتحمَّل منها كُلّ ذلك دون فراقٍ أو طلاق.

وأخيراً . . .

نَسْأل الله تعالى أن يرضى عن « ريحانة بنت زيْد »، زَوْجَةِ رسُول الله ﷺ ، وأن يكافيها على إيمانها وإسلامها ، واختيارها الله ورسوله ، وحُبّها لنبيّه ودينه ، وينزلها في جناتِ النعيم المكانة التي تستحقّها ، إنه على ما يشاء قدير ، فهو نعم المولى ونِعْم النصير .


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com